

اربع ساعات ونصف الساعة تبدأ المشكلة: ينبغي علينا ان ننهض وان نذهب الى المدرسة للتدريس ست ساعات وان نبث بين صفوف التلاميذ الامن والهدوء . . . ينبغي علي ان اوضح للتلاميذ بأنه من الواجب علينا ان نتعايش مع هذا الوضع دون ان نتخلى عن جهد التعليم ، وان لا نستسلم . غير ان ذلك يمتص جهدا نفسيا لا بأس به ، وهكذا يوم على اثر آخر ، ان ذلك من شأنه ان ينهك « (١٦) » .

اما المعلمة « نوريت فجر » فانها تصف الحالة النفسية السيئة التي تجلبها ليالي بيسان الطويلة بقولها : « ان حالة التوتر ليست جديدة بالنسبة لنا ، فنحن نعيش وسطها منذ اشهر عديدة . ان الليالي ليست عادية ، ذلك انه من الصعب النوم بسبب الخوف الذي يستبد بنا من قذائف الكاتيوشا . اننا نحاول ان نعزو السبب الى الحرارة ، غير ان ذلك فقط بمثابة نوع من الاطمئنان الشخصي ، ومحاولة للتهرب ، ففي اعماقنا ندرك باننا نخاف في الليل من القذائف ، الامر الذي يجعلنا في حالة استعداد لمواجهةها وهذه الحالة تحول دون اخذ قسطنا من النوم . »

غير ان وضع التلاميذ وحالتهم النفسية وخاصة تلاميذ الموشافات والقرى ، اصعب بكثير من اوضاع وحالات الفئات الاخرى ، فالتلاميذ يكثر من غيرهم داخل « الملاجئ التي لا تطلق » ولا سيما ملاجئ وادي بيسان في فصل الصيف حيث الحرارة الشديدة ، اذ انه « من غير الممكن ابقاء التلاميذ داخل الملجأ بشكل متواصل اكثر من اربعين دقيقة . فالتنفس صعب ، والشحوب يعترى الوجوه التي اخذت بفعل الحرارة الشديدة تتصبب عرقا . انهم يقومون بمسحه بالمحارم وبايديهم وبقمصانهم . انهم يتحركون على مقاعدهم وقد عيل صبرهم ، وبعد مدة وخاصة ابتداء من الدرس الثالث نشعر ان لا جدوى من مواصلة الدرس العادي ، فليس هنالك من يصغي لان افكارهم اصبحت مشتتة . . . عيونهم تنحج وتتركز برجاء صامت نحو فتحة الملجأ . . . بعد ذلك يطلبون الخروج ، الا اننا نحاول تأجيل ذلك مدة خمس او عشر دقائق ، ولكن يتضح لنا ان محاولتنا خاسرة . . . نقوم باخراجهم ، وهناك نغسل وجوههم ونرش الماء على رؤوسهم ، الا ان ذلك لا يساعد كثيرا ، فبعد ربع ساعة يعودون الى الملجأ ، حيث يبدؤون بالتثاؤب ، ويلقون بنظراتهم نحو فتحة الملجأ » (١٧) .

اصبحت الكاتيوشا مع تصاعد نشاط المقاومة في قرى الحدود ، القضية المركزية التي نستحوذ على فكر الاطفال ، وتشغل بال تلاميذ المدارس . ومما زاد الطين بلة بالنسبة لهؤلاء ، الازدحام الشديد واختلاط الحابل بالنابل داخل الملاجئ ، على خلاف مما هو عليه الوضع في ملاجئ الكيبوتسات مما جعل التلاميذ يمرون بمرحلة تخلف دراسي ، شبيهة الى حد كبير بمرحلة التخلف الزراعي لحقول المستوطنات . وتصف المعلمة « افيفا بن سموئيل » الظواهر المتأتية عن الكاتيوشا وتأثيرها على التلاميذ بقولها : « لقد غدت مسألة الكاتيوشا مسألة مركزية في حياتهم ، ان الملجأ وكافة الاحاسيس التي تصطبح المكوث به ، تعزز فقط هذه المركزية . هنالك حوالي ٨٠٪ من تلاميذي ينامون كل ليلة في الملجأ . ان النوم في ملجأ كهذا يكاد يكون امرا مستحيلا . . . من الصعب وصف الازدحام والاضطراب والصراخ هناك حيث تأتي عائلات تتكون من ثمانية او عشرة افراد مع الاطفال ، في الوقت الذي لا يوجد في الملجأ أسرة كافية ولا حتى مكان يجلسون فيه ، فينامون فوق بعضهم بعضا . . . يخلو الملجأ الكثير من الملاجئ من الكهرباء ولذا فاننا نبدأ باشعال الشموع . . . واحد يصرخ بالثاني ، وآخرون يتسلقون على الاجساد ، ويتنازعون . . . وفي الصباح يأتي التلاميذ الى الصف ، وينامون قبل ان احبيهم تحية الصباح ويأخذ النعاس يستبد بهم طيلة النهار » (١٨) .

ومن أبرز الظواهر التي خلقتها الكاتيوشا في نفوس التلاميذ بالاضافة الى ظاهرة الخوف ، ظاهرة عدم القدرة على التركيز ، وظاهرة الانهك النفسي ، ويستشف ذلك من حديث معلمة افضت به بمناسبة انتهاء العام الدراسي : « بعد مضي بضعة ايام قلت انه لا يمكن